العشرة المبشرون بالجنة

العشرة المبشرون بالجنـــة

اعداد

د. أحمد بن علي اللبيشي

(١)

خليفة رسول الله – ﷺ – أبو بكر الصديق–رضي الله عنه–.

إنه الصديق أبو بكر –رضي الله عنه–، كان اسمه في الجاهلية عبد الكعبة بن عثمان بن عامر فسماه رسول الله ﷺ عبد الله، فهو عبد الله بن أبي قحافة، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر.

ولد في مكة بعد ميلاد النبي ﷺ بسنتين ونصف، وكان رجلاً شريفًا عالماً بأنساب قريش، وكان تاجرًا يتعامل مع الناس بالحسنى.

وكان أبو بكر صديقًا حميمًا لرسول الله ﷺ، وبمجرد أن دعاه الرسول ﷺ للإسلام أسرع بالدخول فيه، واعتنقه؛ لأنه يعلم مدى صدق النبي ﷺ وأمانته، يقول النبي ﷺ :"ما دعوت أحدًا إلى الإسلام إلا كانت عنده كبوة وتردد ونظر، إلا أبا بكر

ما عكم (ما تردد) عنه حين ذكرته ولا تردد فيه"[ابن هشام].

وجاهد أبو بكر–رضي الله عنه– مع النبي ﷺ فاستحق بذلك ثناء الرسول ﷺ عليه إذ يقول: "لو كنت متخذًا خليلا؛ لاتخذت أبا بكر، ولكن أخي وصاحبي" [البخاري].

ومنذ أعلن أبو بكر الصديق–رضي الله عنه– إسلامه، وهو يجاهد في سبيل نشر الدعوة، فأسلم على يديه خمسة من العشرة المبشرين بالجنة وهم: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف–رضي الله عنهم–.

وكانت الدعوة إلى الإسلام في بدايتها سرية، فأحب أبو بكر أن تمتلئ الدنيا كلها بالنور الجديد، وأن يعلن الرسول ﷺ ذلك على الملأ من قريش، فألح أبو بكر على النبي ﷺ في أن يذهب إلى الكعبة، ويخاطب جموع المشركين، فكان النبي ﷺ يأمره بالصبر وبعد إلحاح من أبي بكر، وافق النبي ﷺ ، فذهب أبو بكر عند الكعبة، وقام في الناس خطيبًا ليدعو المشركين إلى أن يستمعوا إلى رسول الله ﷺ :، فكان أول خطيب يدعو إلى الله، وما إن قام ليتكلم، حتى هجم عليه المشركون من كل مكان، وأوجعوه ضربًا حتى كادوا أن يقتلوه،

ولما أفاق -رضي الله عنه- أخذ يسأل عن رسول الله ﷺ كي يطمئن عليه، فأخبروه أن رسول الله ﷺ بخير والحمد لله، ففرح فرحًا شديدًا.

وكان أبو بكر-رضي الله عنه- يدافع عن رسول الله ﷺ بما يستطيع، فذات يوم بينما كان أبو بكر-رضي الله عنه- يجلس في بيته، إذ أسرع إليه رجل يقول له أدرك صاحبك. فأسرع -رضي الله عنه-؛ ليدرك رسول الله ﷺ فوجده يصلي في الكعبة، وقد أقبل عليه عقبة بن أبي معيط، ولف حول عنقه ثوبًا، وظل يخنقه، فأسرع -رضي الله عنه- ودفع عقبة عن رسول الله ﷺ وهو يقول: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله؟! فالتفت المشركون حوله وظلوا يضربونه حتى فقد وعيه، وبعد أن عاد إليه وعيه كانت أول جملة يقولها: ما فعل رسول الله؟

وظل أبو بكر-رضي الله عنه-يجاهد مع النبي ﷺ ويتحمل الإيذاء في سبيل نشر الإسلام، حتى أذن الرسول ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، حتى إذا بلغ مكانًا يبعد عن مكة مسيرة خمس ليال لقيه ابن الدغنة أحد سادات مكة، فقال له: أين تريد يا أبا بكر ؟

فقال أبو بكر-رضي الله عنه-: أخرجني قومي فأريد أن أسيح في الأرض وأعبد ربي. فقال ابن الدغنة: فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يُخرج، أنا لك جار (أي أحميك)، ارجع، واعبد ربك ببلدك، فرجع أبو بكر-رضي الله عنه- مع ابن الدغنة، فقال ابن الدغنة لقريش: إن أبا بكر لا يخرج مثله، ولا يخرج، فقالوا له: إذن مره أن يعبد ربه في داره ولا يؤذينا بذلك، ولا يعلنه، فإنا نخاف أن يفتن نساءنا وأبناءنا، ولبث أبو بكر يعبد ربه في داره.

وفكر أبو بكر-رضي الله عنه- في أن يبني مسجدًا في فناء داره يصلي فيه ويقرأ القرآن، فلما فعل ذلك أخذت نساء المشركين وأبناؤهم يقبلون عليه، ويسمعونه، وهم معجبون بما يقرأ، وكان أبو بكر-رضي الله عنه- رقيق القلب، كثير البكاء عندما يقرأ القرآن، ففزع أهل مكة وخافوا، وأرسلوا إلى ابن الدغنة، فلما جاءهم قالوا: إنا كنا تركنا أبا بكر بجوارك، على أن يعبد ربه في داره، وقد جاوز ذلك فابتنى مسجدًا بفناء داره، فأعلن بالصلاة والقراءة فيه، وإنا قد خشينا أن يفتن

نساءنا وأبناءنا فإنهه، فليسمع كلامك أو يردَّ إليك جوارك، فذهب ابن الدغنة إلى أبي بكر- ﷺ- وقال له: إما أن تعمل ما طلبت قريش أو أن تردَّ إليَّ جواري، فإني لا أحب أن تسمع العرب أني أخفرت رجلاً عقدت له (نقضت عهده)، فقال أبو بكر -ﷺ- في ثقة ويقين: فإن أرد إليك جوارك، وأرضى بجوار الله عز وجل.

وتعرض أبو بكر-ﷺ- مرات كثيرة للاضطهاد والإيذاء من المشركين، لكنه بقي على إيمانه وثباته، وظل مؤيدًا للدين بماله وبكل ما يملك، فأنفق معظم ماله حتى قيل: إنه كان يملك أربعين ألف درهم أنفقها كلها في سبيل الله، وكان -ﷺ- يشتري العبيد المستضعفين من المسلمين ثم يعتقهم ويحررهم.

وفي غزوة تبوك، حثَّ النبي ﷺ على الصدقة والإنفاق، فحمل أبو بكر-ﷺ- ماله كله وأعطاه للنبي ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ له: "هل أبقيت لأهلك شيئًا؟" فقال: أبقيت لهم الله ورسوله، ثم جاء عمر -ﷺ- بنصف ماله فقال له الرسول ﷺ: "هل أبقيت لأهلك شيئًا؟" فقال نعم نصف مالي، وبلغ عمر-ﷺ- ما صنع أبو بكر-ﷺ- فقال "والله لا أسبقه إلى شيء أبدًا" [الترمذي].

كان أبو بكر ﷺ يحب رسول الله حبًّا شديدًا، وكان الرسول ﷺ يبادله الحب، وقد سُئل النبي ﷺ ذات يوم: أي الناس أحب إليك؟ فقال: "عائشة" فقيل له: من الرجال، قال: "أبوها" [البخاري].

وكان أبو بكر -ﷺ- يقف على جبل أُحُد مع رسول الله ﷺ ومعهما عمر، وعثمان-رضي الله عنهما-، فارتجف الجبل، فقال له الرسول ﷺ : "اسكن أحد، فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان" [البخاري].

ولما وقعت حادثة الإسراء والمعراج، وأصبح النبي ﷺ يحدث الناس بأنه قد أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السماء السابعة، قال المشركون: كيف هذا،

ونحن نسير شهرًا حتى نصل إلى بيت المقدس؟! وأسرعوا إلى أبي بكر وقالوا له: إن صاحبك يزعم أنه أسري به إلى بيت المقدس! فقال أبو بكر: إن كان قال ذلك فقد صدق، إني أصدقه في خبر السماء يأتيه؛ فسماه الرسول ﷺ منذ تلك اللحظة (الصِّدِّيق).[ابن هشام].

كذلك كان أبو بكر-رضي الله عنه- مناصرًا للرسول ومؤيدًا له حينما اعترض بعض المسلمين على صلح الحديبية.

وحينما أذن الله تعالى لرسوله ﷺ بالهجرة، اختاره الرسول ﷺ ليكون رفيقه في هجرته، وظلا ثلاثة أيام في غار ثور، وحينما وقف المشركون أمام الغار، حزن أبو بكر وخاف على رسول الله ﷺ، وقال: يا رسول الله، لو أن أحدهم نظر إلي قدميه، لأبصرنا، فقال له الرسول ﷺ : "ما ظنك يا أبا بكر باثنين الله ثالثهما"[البخاري].

وشهد أبو بكر-رضي الله عنه- مع رسول الله ﷺ جميع الغزوات، ولم يتخلف عن واحدة منها، وعرف الرسول ﷺ فضله، فبشره بالجنة وكان يقول: "ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه ما خلا أبا بكر، فإن له عندنا يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة"[الترمذي].

وكان أبو بكر-رضي الله عنه- شديد الحرص على تنفيذ أوامر الله، فقد سمع النبي ﷺ ذات يوم يقول: من جرَّ ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه يوم القيامة"، فقال أبو بكر: إن أحد شقي ثوبي يسترخي إلا أن أتعاهد ذلك منه، فقال له النبي ﷺ "إنك لست تصنع ذلك خيلاء" [البخاري].

وكان-رضي الله عنه- دائم الخوف من الله، فكان يقول: لو إن إحدى قدميّ في الجنة والأخرى خارجها ما آمنت مكر ربي (عذابه).

ولما انتقل الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، اجتمع الناس حول منزله بالمدينة لا يصدقون أن رسول الله ﷺ قد مات، ووقف عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- يهدد من يقول بذلك ويتوعد، وهو لا يصدق أن رسول الله قد مات، فقدم أبو بكر-رضي الله عنه-، ودخل على رسول الله ﷺ وكشف الغطاء عن وجهه الشريف، وهو يقول: طبت حيًّا وميتًا يا رسول الله،

ثم خرج إلى الناس المجتمعين، وقال لهم: أيها الناس، من كان منكم يعبد محمدًا ﷺ فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، فإن الله تعالى قال:{ وما مُحَمَّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم}[آل عمران: ١٤٤]، وبعدها يسرع كبار الصحابة إلى السقيفة (سقيفة بني ساعدة)، ينظرون فيمن يتولى أمرهم بعد رسول الله ﷺ؟ وبايع المسلمون أبا بكر-رضي الله عنه- بالخلافة بعد أن اقتنع كل المهاجرين والأنصار بأن أبا بكر هو أجدر الناس بالخلافة بعد رسول الله ﷺ، ولم لا؟ وقد أمره النبي ﷺ أن يؤم المسلمين في الصلاة عندما مرض وثقل عليه المرض، فقال: "مروا أبا بكر فليصل بالناس" [متفق عليه].

وبعد أن تولى أبو بكر الخلافة، وقف خطيبًا في الناس، فقال:" أيها الناس إن قد وليت عليكم ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوموني، الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف منكم قوي عندي حتى أريح (أزيل) علته إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيف حتى آخذ منه الحق إن شاء الله، ولا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا يشيع قوم قط الفاحشة؛ إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله، فإن عصيت الله ورسوله؛ فلا طاعة لي عليكم".

وقد قاتل أبو بكر -رضي الله عنه- المرتدين ومانعي الزكاة، وقال فيهم: والله لو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه ل رسول الله ﷺ لقاتلتهم عليه.

وكان يوصي الجيوش ألا يقتلوا الشيخ الكبير، ولا الطفل الصغير، ولا النساء، ولا العابد في صومعة، ولا يحرقوا زرعًا ولا يقلعوا شجرًا.

وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بن زيد-رضي الله عنه- ليقاتل الروم، وكان الرسول ﷺ قد اختار أسامة قائدًا على الجيش رغم صغر سنه، وحينما لقى النبي ﷺ ربه صمم أبو بكر-رضي الله عنه- على أن يسير الجيش كما أمر الرسول ﷺ ، وخرج بنفسه يودع الجيش، وكان يسير على الأرض

وبجواره أسامة يركب الفرس، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب أو أنزل.
فقال: والله لا أركبن ولا تنزلن، ومالي لا أغبِّر قدمي في سبيل الله.
وأرسل -رضي الله عنه- الجيوش لفتح بلاد الشام والعراق حتى يدخل الناس في دين الله.
ومن أبرز أعماله-رضي الله عنه-أنه أمر بجمع القرآن الكريم وكتابته بعد استشهاد كثير من حفظته.

وتوفي أبو بكر ليلة الثلاثاء الثاني والعشرين من جمادى الآخرة في السنة الثالثة عشرة من الهجرة، وعمره (٦٣) سنة وغسلته زوجته أسماء بنت عميس حسب وصيته، ودفن إلى جوار الرسول ﷺ .
وترك من الأولاد: عبد الله، وعبد الرحمن، ومُحَمَّد، وعائشة وأسماء، وأم كلثوم-رضي الله عنهم-.
وروى عن رسول الله ﷺ أكثر من مائة حديث.

(٢)
عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–.

إنه الفاروق عمر بن الخطاب–رضي الله عنه–، ولد بعد عام الفيل بثلاث سنوات، وكان من بيت عظيم من قريش، وكان قبل إسلامه من أشد الناس عداوة لرسول الله ﷺ وأصحابه، وكان يرى أن النبي ﷺ قد فرق بين الناس، وجاء بدين جديد، فبلغ من ضيقه وكرهه أنه حمل سيفه وتوجه إلى النبي ﷺ يريد أن يقتله، وفي الطريق قابله رجل، فقال له: أين تريديا عمر؟ قال: أريد أن أقتل محمدًا، قال الرجل: وكيف تأمن من بني هاشم و بني زهرة إذا قتلته؟ فقال عمر: ما أراك إلا قد صبأت وتركت دينك الذي كنت عليه. قال الرجل: أفلا أدلك على ما هو أعجب من ذلك؟ قال عمر: وما هو؟ قال: أختك وزوجها قد صبوا وتركا دينك الذي أنت عليه. فغضب عمر أشد الغضب، وغير وجهته؛ حيث اتجه إلى بيت أخته فاطمة ليرى صدق ما أخبر به، فلما أتاهما وكان عندهما خباب بن الأرت–رضي الله عنه–، فدفع عمر الباب وقد سمع أصواتهم وهم يقرءون القرآن، فقال مستنكرًا: ما هذه الهيمنة)الصوت غير المفهوم(التي سمعتها عندكم ؟ فقال سعيد بن زيد زوج أخته: حديثًا ا تحدثناه بيننا.

قال عمر: فلعلكما قد صبوتما. فقال له سعيد: أرأيتيا عمر إن كان الحق في غير دينك؟ فوثب عمر عليه وأخذ يضربه، فجاءت أخت عمر فدفعت عمر عن زوجها فلطمها بيده، فسال الدم من وجهها، فقالت:يا عمر، إن كان الحق في غير دينك، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدً ا رسول الله.

فلما يئس عمر منهما قال: أعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فأقرأه، فقالت أخته: لايمسه إلا المطهرون، فاغتسل أو توضأ، وعلمته كيف يتوضأ، فقام عمر فتوضأ ثم أخذ الكتاب وقرأ الآيات الأولى من سورة طه، فقال عمر: دلوني على مُحَمَّد ﷺ.

فلما سمع خباب قول عمر خرج من المخبأ، وهو يقول: أبشر يا عمر، فإني أرجو أن تكون دعوة رسول الله ﷺ لك ليلة أمس: "اللهمَّ أعز الإسلام بعمر بن الخطاب أو بعمرو بن هشام" قد استجيبت، ثم خرج خباب مع عمر إلى دار الأرقم في جبل الصفا، حيث كان رسول الله ﷺ وأصحابه.

فلما اقتربا من الدار، وجدا على بابها حمزة بن عبد المطلب -رضي الله عنه- ومعه طلحة بن عبيد الله، وبعض الصحابة -رضي الله عنهم- فلما رآه حمزة قال لمن حوله: هذا عمر، فإن يرد الله بعمر خيرًا يسلم ويتبع النبي ﷺ ، وإن يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا، ثم خرج رسول الله ﷺ حتى أتى عمر، فأخذ بمجامع ثوبه وقال: ما أنت بمنته يا عمر حتى ينزل الله بك من الخزي والنكال ما أنزل بالوليد بن المغيرة.

فقال عمر: أشهد أنك رسول الله، وشهد شهادة الحق، فكبر المسلمون تكبيرة سُمعت في طرق مكة.

ثم قال عمر: يا رسول الله، علام نخفي ديننا ونحن على الحق، ويظهرون دينهم وهم على باطل.

فقال رسول الله ﷺ : "يا عمر، إنا قليل، وقد رأيت ما لقينا"، فقال عمر: فوالذي بعثك بالحق، لا يبقى مجلس جلست فيه وأنا كافر إلا أظهرت فيه الإيمان.

ثم خرج فطاف بالكعبة، ومرَّ على قريش وهم جالسون ينظرون إليه، فقال أبو جهل لعمر: يزعم فلان أنك صبوت؟ فقال عمر: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. فهجم عليه بعض المشركين، فأخذ عمر يضربهم، فما يقترب منه أحد إلا وقد نال منه حتى أمسك عمر بعتبة بن ربيعة وضربه ضربًا مبرحًا، ثم ذهب عمر إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأخبره، وطلب منه أن يخرج معه ليعلنوا إسلامهم أمام مشركي مكة،

فخرج النبي ﷺ وأصحابه، فطافوا بالكعبة وصلوا الظهر، ولقب عمر منذ ذلك بالفاروق لأنه فرق بن الحق والباطل. [ابن سعد].

وكان عمر -رضي الله عنه- مخلصًا في إسلامه، صادقًا مع ربه، شديد الحب لله ورسوله، فلزم النبي ﷺ ، ولم يفارقه أبدًا، وكان هو والصديق يسيران مع النبي حيث سار، ويكونان معه حيث كان، حتى أصبحا بمكانة الوزيرين له، وكان ﷺ يقول: "إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه" [أحمد والترمذي وأبو داود]، ويقول: "لو كان بعدي نبي لكان عمر" [ابن عبد البر].

وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة، فهو أحد العشرة المبشرين بها، قال ﷺ :"دخلت الجنة، أو أتيت الجنة فأبصرت قصرًا، فقلت لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب، فأردت أن أدخله، فلم يمنعني إلا علمي بغيرتك"، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله: بأبي أنت وأمي يا نبي الله، أو عليك أغار. [متفق عليه].

ولما أذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة، كانوا يهاجرون في السر خوفاً من قريش، وتواعد عمر بن الخطاب مع عباس بن أبي ربيعة المخزومي وهشام بن العاص على الهجرة، واتفقوا على أن يتقابلوا عند مكان بعيد عن مكة بستة أميال ومن يتخلف منهم فليهاجر الآخر، فتقابل عمر مع عباس عند المكان المحدد، أما هشام فقد أمسكه قومه وحبسوه.

فهاجر عمر مع عباس إلى المدينة، فلما هاجر إليها رسول الله ﷺ آخى بين المهاجرين والأنصار، فآخى بين عمر بن الخطاب وعتبان بن مالك -رضي الله عنهما-.

وتكون المجتمع الإسلامي في المدينة، وبدأت رحلة الجهاد في الإسلام، فرفع عمر لواء الحق وأمسك بسيفه ليناصر دين الله -عز وجل- وجاءت أول معركة للمسلمين مع المشركين غزوة بدر الكبرى، فأسر المسلمون عددا من المشركين، وشاور النبي ﷺ أصحابه في أسرى بدر، فكان رأي عمر أن يقتلوا، وكان رأي الصديق أن يفتدوا، فاختار النبي ﷺ أيسر الرأيين، ونزل على رأي أبي بكر -رضي الله عنه-.

فنزل جبريل -عليه السلام- على النبي ﷺ ليتلو عليه آيات القرآن مؤيدًا رأي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، فقال تعالى: {ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد عرض الآخرة والله عزيز حكيم. لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم} [الأنفال: ٦٧-٦٨]، فبكى رسول الله ﷺ وبكى أبو بكر، فجاء عمر-رضي الله عنه- فسألهما عن سبب بكائهما فأخبراه.

وشهد الفاروق عمر-رضي الله عنه- مع رسول الله ﷺ جميع المشاهد والغزوات، يجاهد بسيفه في سبيل الله؛ ليعلي كلمة الحق، وفي غزوة أحد، وقف بجانبه (يدافع عنه بعد أن انهزم المسلمون.

ويلحق رسول الله ﷺ بالرفيق الأعلى، فيبايع الفاروق أبا بكر الصديق-رضي الله عنه-، كما بايعه المهاجرون والأنصار، ويقف عمر-رضي الله عنه- بجانبه يشد من أزره، لا يكتم عن رأيا، ولا يبخل عنه بجهد في سبيل نصرة الحق ورفعة الدين، فيكون معه في حربه ضد المرتدين ومانعي الزكاة ومدعي النبوة، وفي أعظم الأمور وأجلها مثل جمع القرآن.

ويوصي الخليفة الأول قبل موته بالخلافة إلى الفاروق عمر، ليضع على كاهله عبئًا ثقيلاً، يظل عمر -رضي الله عنه- يشتكي منه طوال حياته، ولكن من كان لهذا الأمر غير عمر، فإنه الفاروق، العابد، الزاهد، الإمام العادل.

وحمل عمر-رضي الله عنه- أمانة الخلافة فكان مثالاً للعدل والرحمة بين المسلمين، وكان سيفًا قاطعاً لرقاب الخارجين على أمر الله تعالى، والمشركين، فكان رحيماً وقت الرحمة، شديدًا وقت الشدة.

فقد خرج مع مولاه أسلم في ليلة مظلمة شديدة البرد يتفقد أحوال الناس، فلما كانا بمكان قرب المدينة، رأى عمر -رضي الله عنه- نارًا، فقال لمولاه: يا أسلم، ههنا ركب قد قصر بهم الليل، انطلق بنا إليهم فذهبا تجاه النار، فإذا بجوارها امرأة وصبيان، وإناء موضوع على النار، والصبيان يتصايحون من شدة الجوع، فاقترب منهم، وسألهم: ما بالكم؟

فقالت المرأة: قصر بنا الليل والبرد، قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون (يصطرخون)؟! قالت: من الجوع، فقال: وأي شيء على النار؟ قالت: ما أعللهم به حتى يناموا، الله بيننا وبين عمر، فبكى -رضي الله عنه- ورجع إلى البيت فأحضر دقيقًا وسمنًا، وقال: يا أسلم، احمله على ظهري. فقال أسلم: أنا أحمله عنك يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟ فحمله على ظهره وانطلقا حتى أتيا المرأة، فألقى الحمل عن ظهره وأخرج من الدقيق، فوضعه في القدر، وألقى عليه السمن وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعة، حتى نضج الطعام، فأنزله من على النار، وقال: ائتني بصحفة، فأتى بها، فغرف فيها ثم جعلها أمام الصبيان، وقال: كلوا، فأكلوا حتى شبعوا، والمرأة تدعو له، فلم يزل عندهم حتى نام الصغار، ثم انصرف وهو يبكي -رضي الله عنه-، ويقول: يا أسلم، الجوع الذي أسهرهم وأبكاهم.

وخرج الفاروق يومًا يتفقد أحوال رعيته فإذا امرأة تلد وتبكي، وزوجها لا يملك حيلة، فأسرع عمر -رضي الله عنه- إلى بيته، فقال لامرأته أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، هل لك في أجر ساقه الله إليك؟ ثم أخبرها الخبر، فقالت نعم. فحمل عمر على ظهره دقيقًا وشحمًا، وحملت أم كلثوم ما يصلح للولادة، وجاءا، فدخلت أم كلثوم على المرأة، وجلس عمر مع زوجها يحدثه، ويعد مع الطعام، فوضعت المرأة غلامًا، فقالت أم كلثوم: يا أمير المؤمنين بشر صاحبك بغلام. فلما سمع الرجل قولها استعظم ذلك، وأخذ يعتذر إلى عمر، فقال عمر: لا بأس عليك، ثم أعطاه ما ينفقون وانصرف.

ويروى أنه رأى شيخًا من أهل الذمة يستطعم الناس، فسأل عمر عنه، فقيل له: هذا رجل من أهل الذمة كبر وضعف، فوضع عنه عمر الجزية، وقال: كلفتموه الجزية حتى إذا ضعف تركتموه يستطعم؟ ثم أجرى له من بيت المال عشرة دراهم.

وفي خلافة الفاروق عمر اتسعت الدولة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها، وكثرت الفتوح الإسلامية للبلاد، ففتح في عهده الشام والعراق وإيران وأذربيجان، ومصر وليبيا، وتسلم عمر مفاتيح المقدس، وكثر في عهده الأموال، وامتلأ بيت المال، فلم تشهد الدولة الإسلامية عهدًا أعظم من ذلك العهد وخلافة أفضل من تلك الخلافة.

ورغم ذلك الثراء كان عمر-رضي الله عنه- يعيش زاهدًا، ممسكًا على نفسه وعلى أهله، موسعًا على عامة المسلمين وفقرائهم.

فكان عمر-رضي الله عنه- لا يأكل إلا الخشن من الطعام، ولا يجمع بين إدامين (الإدامين: ما يأكل بالخبز) قط، ويلبس ثوبًا به أكثر من اثنتي عشر رقعة، لا يخاف أحدًا لعدله، فقد حكم، فعدل، فأمن فاطمأن فنام لا يخاف إلا الله عز وجل.

وقد جعل عمر -رضي الله عنه- سيرة رسول الله ﷺ وحياة الصديق -رضي الله عنه- نبراسًا أمامه يضيء له طريقه، ويسير على هداه لا يحيد عنه طرفة عين أو أقل من ذلك، وكان دائمًا يذكر نفسه ويذكر حوله بعظاته البالغة، فمن ذلك قوله الخالد: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزن عليكم.

وكان يقول: ويل لديَّان الأرض من ديَّان السماء يوم يلقونه، إلا من أمَّ (قصد) العدل، وقضى بالحق، ولم يقض بهواه ولا لقرابة، ولا لرغبة ولا لرهبة، وجعل كتاب الله مرآته بين عينيه.

وكان عمر-رضي الله عنه- شديدًا على ولاته الأمراء، فكان يأمرهم بالعدل والرحمة بين الناس، ويحثهم على العلم، ولم يكن يولي الأمر إلا لمن يتوسم فيه الخير ويعرف عنه الصلاح والتقى، ودائمًا كان يتعهدهم ويعرف أخبارهم مع رعيتهم، فإن حاد أحدهم عن طريق الحق عزله وولى غيره، وعاتبه، وحاسبه على أفعاله.

ويروى في ذلك أن رجلاً من أهل مصر أتى عمر -رضي الله عنه- فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال عمر-رضي الله عنه-: عذت معاذًا، قال: قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته،

فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين. فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم هو وابنه معه، فقال عمر: أين المصري؟

فجاءه، فقال له: خذ السوط فاضربه، فجعل يضربه بالسوط، وعمر-رضي الله عنه- يقول: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال عمر-رضي الله عنه- للمصري: ضع على صلعة عمرو، فقال المصري: يا أمير المؤمنين إنما ابنه الذي ضربني، وقد استقدت منه (أي اقتصصت منه).

فنظر عمر-رضي الله عنه- إلى عمرو-رضي الله عنه- نظرة لوم وعتاب وقال له: منذ كم تعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا؟ فقال عمرو-رضي الله عنه-: يا أمير المؤمنين، لم أعلم، ولم يأتني.

وعاش عمر -رضي الله عنه- يتمنى الشهادة في سبيل الله -عز وجل-، فقد صعد المنبر ذات يوم، فخطب قائلاً: إن في جنات عدن قصرًا له خمسمائة باب، على كل باب خمسة آلاف من الحور العين، لا يدخله إلا نبي، ثم التفت إلى قبر رسول الله ﷺ وقال: هنيئًا لك يا صاحب القبر، ثم قال: أو صديق، ثم التفت إلى قبر أبي بكر-رضي الله عنه-، وقال: هنيئًا لك يا أبا بكر، ثم قال: أو شهيد، وأقبل على نفسه يقول: وأنى لك الشهادة يا عمر؟! ثم قال: إن الذي أخرجني من مكة إلى المدينة قادر على أن يسوق إليَّ الشهادة.

واستجاب الله دعوته، وحقق له ما كان يتمناه، فعندما خرج إلى صلاة الفجر يوم الأربعاء (٢٦) من ذي الحجة سنة (٢٣هـ) تربص به أبو لؤلؤة المجوسي، وهو في الصلاة وانتظر حتى سجد، ثم طعنه بخنجر كان معه، ثم طعن اثني عشر رجلاً مات منهم ستة رجال، ثم طعن المجوسي نفسه فمات.

وأوصى الفاروق-رضي الله عنه- أن يكمل الصلاة عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- وبعد الصلاة حمل المسلمون عمرًا إلى داره، وقبل أن يموت اختار ستة من الصحابة؛ ليكون أحدهم خليفة على أن لا يمر ثلاثة أيام إلا وقد اختاروا من بينهم خليفة للمسلمين، ثم مات الفاروق-رضي الله عنه-، ودفن إلى جانب الصديق أبي بكر-رضي الله عنه-، وفي رحاب قبر المصطفى ﷺ.

(٣)

ذو النورين عثمان بن عفان-رضي الله عنه-.

إنه الصحابي الجليل عثمان بن عفان-رضي الله عنه-، بشره النبي ﷺ بالجنة، ووعده بالشهادة، ومات وهو راض عنه، وجهز جيش العسرة، وتزوج من ابنتي رسول الله ﷺ :، وكان ثالث الخلفاء الراشدين، واستشهد وهو يقرأ القرآن الكريم.

وقد ولد عثمان بعد ميلاد النبي ﷺ بست سنوات في بيت شريف، فأبوه عفان بن العاص صاحب المجد والكرم في قومه.

وكان عثمان -رضي الله عنه- من السابقين إلى الإسلام، فحين دعاه أبو بكر -رضي الله عنه- إلى الإيمان بالله وحده، لبى النداء، ونطق بشهادة الحق.

ورغم ما كان يتمتع به عثمان -رضي الله عنه- من مكانة في قومه لا أنه تعرض للإيذاء من أجل إسلامه، وتحمل كثيرًا من الشدائد في سبيل دعوته، فقد أخذه عمه الحكم بن أبي العاص، وأوثقه برباط، وأقسم ألا يحله حتى يترك دينه، فقال له عثمان-رضي الله عنه-: والله لا أدعه أبدًا ولا أُفارقه، فلما رأى الحكم صلابته وتمسكه بدينه؛ تركه وشأنه.

وكان عثمان-رضي الله عنه- من الذين هاجروا إلى الحبشة فارًا بدينه مع زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ، ثم هاجر إلى المدينة، وواصل مساندته للنبي ﷺ (بكل ما يملك من نفس ومال.

ولما خرج المسلمون إلى بدر لملاقاة المشركين تمنى عثمان -رضي الله عنه- أن يكون معهم، ولكن زوجته رقية بنت رسول الله ﷺ مرضت، فأمره الرسول ﷺ أن يبقى معها ليمرضها، وبعد أن انتصر المسلمون في المعركة أخذ رسول الله ﷺ في توزيع الغنائم، فجعل لعثمان-رضي الله عنه- نصيبًا منها، ولكن زوجته رقية -رضي الله عنها- لم تعش طويلاً، فماتت في نفس السنة التي انتصر فيها المسلمون في غزوة بدر.

وبعد وفاة رقية زوَّج الرسول ﷺ عثمان بن عفان-رضي الله عنه- من ابنته الأخرى أم كلثوم، ليجتمع بذلك الفضل العظيم لعثمان -رضي الله عنه- بزواجه من ابنتي الرسول ﷺ ، فلقب بذي النورين.

ثم شهد عثمان-رضي الله عنه-مع النبي ﷺ كثيرًا من المشاهد، وأرسله النبي ﷺ إلى مكة حينما أرادوا أداء العمرة ليخبر قريشًا أن المسلمين جاءوا إلى مكة لأداء العمرة، وليس من أجل القتال، ولكن المشركين احتجزوا عثمان-رضي الله عنه- بعض الوقت، وترددت إشاعة أنهم قتلوه، فجمع النبي ﷺ أصحابه، ودعاهم إلى بيعته على قتال المشركين، فسارع الصحابة بالبيعة، وعرفت تلك البيعة ببيعة الرضوان، وعاد عثمان -رضي الله عنه-، وكان صلح الحديبية.

وفي المدينة رأى عثمان -رضي الله عنه- معاناة المسلمين من أجل الحصول على الماء في المدينة؛ حيث كانوا يشترون الماء من رجل يهودي يملك بئرًا تسمى رومة، فقال النبي ﷺ "من يشتري بئر رومة فيجعل دلاءه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة" [الترمذي].

فذهب عثمان-رضي الله عنه-إلى ذلك اليهودي وساومه على شرائها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى نصفها باثني عشر ألف درهم، ثم خصص لنفسه يومًا ولليهودي يومًا آخر، فإذا كان يوم عثمان -رضي الله عنه- أخذ المسلمون من الماء ما يكفيهم يومين دون أن يدفعوا شيئًا، فلما رأى اليهود ذلك جاء إلى عثمان-رضي الله عنه-، وباع له النصف الآخر بثمانية آلاف درهم، وتبرع عثمان-رضي الله عنه- بالبئر كلها للمسلمين.

وفي غزوة تبوك، حثَّ النبي ﷺ المسلمين على الإنفاق لتجهيز الجيش الذي سمي بجيش العسرة لقلة المال والمؤن وبعد المسافة، وقال: "من جهز جيش العسرة فله الجنة" [الترمذي].

فبعث عثمان-رضي الله عنه- إلى النبي ﷺ عشرة آلاف دينار، فجعل النبي ﷺ يقبلها ويدعو لعثمان-رضي الله عنه- ويقول: "غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت، وما أخفيت وما هو كائن إلى أن تقوم الساعة، وما يبالي عثمان ما عمل بعد هذا" [ابن عساكر والدارقطني].

وتوفي النبي ﷺ وهو راض عن عثمان؛ فقال: "لكل نبي رفيق ورفيقي (يعني في الجنة) عثمان" [الترمذي].

وكان عثمان-رضي الله عنه- نعم العون لأبي بكر الصديق-رضي الله عنه- في خلافته، ومات وهو عنه راض، وكان كذلك مع عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- حتى لقى عمر ربه، وقد اختاره عمر ضمن الذين رشحهم لتولي الخلافة من بعده، وبعد مشاورات بينهم تم اختياره ليكون الخليفة الثالث للمسلمين بعد عمر-رضي الله عنه-.

وظل عثمان -رضي الله عنه- خليفة للمسلمين ما يقرب من اثنتي عشرة سنة فكان عادلاً في حكمه، رحيماً بالناس، يحب رعيته ويحبونه، وكان يحرص على معرفة أخبارهم أولاً بأول.

وعرف عثمان -رضي الله عنه- بالزهد والقناعة مع ما توفر من ثراء عظيم، ومال وفير، يقول عبد الملك بن شداد: رأيت عثمان بن عفان -رضي الله عنه- يوم الجمعة على المنبر وعليه إزار عدني (من عدن) غليظ، ثمنه أربعة دراهم أو خمسة دراهم.

وقال الحسن: رأيت عثمان بن عفان-رضي الله عنه-يقيل (ينام وقت الظهيرة) في المسجد وهو يومئذ خليفة، وقد أثر الحصى بجنبه فنقول: هذا أمير المؤمنين! هذا أمير المؤمنين!

وقال شرحبيل بن مسلم: كان عثمان -رضي الله عنه- يطعم الناس طعام الإمارة، وعندما يدخل بيته كان يأكل الخل والزيت.

وكان رضي الله عنه يحث المسلمين على الجهاد، ويرغب فيه، قال يومًا وهو على المنبر: أيها الناس إني كتمتكم حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ كراهية تفرقكم عني، ثم بدا لي أن أحدثكموه ليختار امرؤ لنفسه ما بدا له، سمعت رسول الله ﷺ يقول: "رباط يوم في سبيل الله خير من ألف يومًا فيما سواه من المنازل" [النسائي].

وواصل عثمان نشر الإسلام، ففتح الله على يديه كثيرًا من الأقاليم والبلدان، وتوسعت في عهده بلاد الإسلام، وامتدت في أنحاء كثيرة.

ومن فضائله –رضي الله عنه– وحسناته العظيمة، أنه جمع الناس على مصحف واحد، بعد أن شاور صحابة الرسول ﷺ في ذلك، فأتى بالمصحف الذي أمر أبو بكر –رضي الله عنه– زيد بن ثابت –رضي الله عنه– بجمعه، وكان عند السيدة حفصة أم المؤمنين –رضي الله عنها–، ثم أمر بكتابة عدة نسخ ، فبعث واحدًا لأهل الشام وآخر لأهل مصر، وأرسل نسخة إلى كل من البصرة واليمن.

فكان لعمله هذا فائدة عظيمة حتى يومنا هذا، وسميت تلك النسخ التي كتبها بالمصاحف الأئمة، ثم قام بحرق ما يخالفها من المصاحف، وأعجب الصحابة بما فعل عثمان، فقال أبو هريرة –رضي الله عنه– : أصبت ووفقت، وقال علي بن أبي طالب –رضي الله عنه– : لو لم يصنعه هو لصنعته.

وكان عثمان بن عفان –رضي الله عنه– كثير العبادة، يداوم على قيام، وقد أخبر النبي ﷺ أن عثمان سوف يقتل مظلومًا وأنه من الشهداء، فذات يوم، صعد النبي ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان جبل أحد، فاهتز الجبل بهم، فقال له النبي: "اسكن أحد، فليس عليك إلا نبي وصديق وشهيدان" [البخاري].

وتحقق قول النبي الكريم ﷺ : وقتل عثمان –رضي الله عنه– ظلمًا، وهو يتلو آيات القرآن الكريم في يوم الجمعة (١٨) ذي الحجة سنة (٣٥هـ).

وصلى عليه الزبير بن العوام ودفن ليلة السبت، وكان عمره يومئذ (٨٢) سنة، وقيل غير ذلك، فرضي الله عنه.

(٤)

الفدائي الأول علي بن أبي طالب-رضي الله عنه-.

إنه الصحابي الجليل علي بن أبي طالب -رضي الله عنه- ابن عم رسول الله ﷺ، أبوه هو أبو طالب عبد مناف بن عبد المطلب، وأمه السيدة فاطمة بنت أسد بن هاشم -رضي الله عنها-.

ولد علي -رضي الله عنه- قبل بعثة النبي ﷺ بعشر سنين، وكان أصغر إخوته، وتربى في بيت النبي ﷺ ، ولما نزل الوحي على رسول الله ﷺ دعا عليّا إلى الإيمان بالله وحده، فأسرع -رضي الله عنه- بقبول الدعوة، ودخل في دين الله، فكان أول من أسلم من الصبيان.

ولما رآه أبو طالب يصلي مع رسول الله ﷺ قال له: أي بني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال علي: يا أبي، آمنت برسول الله، وصدقت بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فقال أبو طالب: أما إنه لم يَدْعُك إلا لخير، فالزمه.

وكان رسول الله ﷺ يحب عليّا، ويثني عليه، فكان يقول له: "أنت مني وأنا منك" [البخاري].

وكان يقول له: "لا يحبك إلا مؤمن، ولا يبغضك إلا منافق" [مسلم].

وعندما أراد الرسول ﷺ الهجرة إلى المدينة، أمر علي بن أبي طالب-رضي الله عنه- أن ينام في فراشه، وفي ليلة الهجرة في جنح الظلام، تسلل مجموعة من كفار مكة، وفي يد كل واحد منهم سيف صارم حاد، وقفوا أمام باب بيت النبي ﷺ ينتظرون خروجه لصلاة الفجر، ليضربوه ضربة رجل واحد، فأخبر الله نبيه ﷺ بتلك المؤامرة، وأمره بالخروج من بينهم، فخرج النبي ﷺ وقد أعمى الله أبصار المشركين، فألقى النبي ﷺ التراب على رؤوسهم وهو يقرأ قول الله تعالى: {وجعلنا من بين أيديهم سدًا ومن خلفهم سدًا فأغشيناهم فهم لا يبصرون} [يس: ٩].

ولما طلعت الشمس؛ استيقظ المشركون، وهجموا على البيت، ورفعوا سيوفهم، ليضربوا النائم، فإذا بهم لا يجدونه رسول الله ﷺ، وإنما هو ابن عمه علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-، الذي هب واقفًا في جرأة ساخرًا من المشركين، ومحقرًا لشأنهم.

وظل عليٌّ -رضي الله عنه- في مكة ثلاثة أيام بعد هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة لكي يرد الودائع، كما أمره رسول الله ﷺ :، ولما هاجر وجد النبي ﷺ قد آخى بين المهاجرين والأنصار، فقال: يا رسول الله، آخيت بين أصحابك، ولم تؤاخ بيني وبين أحد. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أنت أخي في الدنيا والآخرة" [ابن عبد البر].

وقد بشره رسول الله ﷺ بالجنة، فكان أحد العشرة المبشرين بها، وقد زوجه رسول الله ﷺ من ابنته فاطمة -رضي الله عنها-، وقدم عليٌّ -رضي الله عنه- لها مهرًا لسيدة نساء العالمين وريحانة الرسول ﷺ .

وعاش علي -رضي الله عنه- مع زوجته فاطمة -رضي الله عنها- في أمان ووفاق ومحبة، ورزقه الله منها الحسن والحسين.

وذات يوم ذهب رسول الله ﷺ إلى دار علم فلم يجده، فسأل عنه زوجته فاطمة الزهراء-رضي الله عنها- : "أين ابن عمك"؟ فقالت: في المسجد، فذهب إليه الرسول ﷺ هناك، فوجد رداءه قد سقط عن ظهره وأصابه التراب فجعل الرسول ﷺ يمسح التراب عن ظهره، ويقول له: "اجلس يا أبا تراب..اجلس يا أبا تراب"[البخاري].

وشهد علي مع النبي ﷺ جميع الغزوات، وعرف بشجاعته وبطولته، وفي يوم خيبر قال النبي ﷺ "لأعطين الراية غدًا رجلا يحبه الله ورسوله ﷺ أو قال: يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه" [البخاري].

فبات الصحابة كل منهم يتمنى أن يكون هو صاحب الراية، فلما أصبح الصباح، سأل النبي ﷺ عن عليّ، فقيل له: إنه يشتكي عينيه يا رسول الله، قال: "فأرسلوا إليه، فأتوني به".

فلما جاء له، بصق في عينيه، ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع، فأعطاه الراية، فقال علي: يا رسول الله، فقال علي-رضي الله عنه-: يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا، فقال ﷺ: «انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم

من حق الله فيه، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم»[البخاري]. ففتح الله على يديه.

ولما نزل قول الله تعالى: {إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرًا} [الأحزاب: ٣٢]، دعا الرسول ﷺ فاطمة وعليًا والحسن والحسين-رضي الله عنهم-في بيت السيدة أم سلمة، وقال: "اللهمَّ إن هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرًا" [ابن عبد البر].

وعرف علي -رضي الله عنه- بالعلم الواسع، فكانت السيدة عائشة -رضي الله عنها- إذا سُئلت عن شيء قالت: اسألوا عليًّا وكان عمر -رضي الله عنه- كذلك.

وكان عليٌّ -رضي الله عنه- يقول: سلوني، فوالله لا تسألوني عن شيء إلا أخبرتكم، وسلوني عن كتاب الله، فوالله ما من آية إلا وأنا أعلم بليل نزلت أم بنهار، أم في سهل أم في جبل.

وكان أبو بكر وعمر في خلافتيهما بعد وفاة رسول الله ﷺ يعرفان لعلي الفضل، وقد اختاره عمر -رضي الله عنه- ليكون من الستة أصحاب الشورى الذين يختار منهم الخليفة، ولما استشهد عثمان -رضي الله عنه- اختير عليّ ليكون الخليفة من بعده.

ولما تولي عليّ -رضي الله عنه- الخلافة نقل مقرها من المدينة إلى العراق، وكان -رضي الله عنه-يحرص على شئون أمته فيسير بنفسه في الأسواق ومعه درعه (عصاه) ويأمر الناس بتقوى الله، وصدق الحديث، وحسن البيع، والوفاء بالكيل والميزان.

وكان يوزع كل ما يدخل بيت المال من الأموال بين المسلمين، وقبل وفاته أمر بتوزيع كل المال، وبعد توزيعه أمر بكنس بيت المال، ثم قام فصلى فيه رجاء أن يشهد له يوم القيامة.

وكان -رضي الله عنه- كثير العبادة، يقوم من الليل فيصلي ويطيل صلاته، ويقول مالي وللدنيا، يا دنيا غرِّي غيري.

وقد جاءت إليه امرأتان تسألانه، إحداهما عربية والأخرى مولاة، فأمر لك واحدة منهما بكسر من طعام وأربعين درهمًا، فأخذت المولاة الذي أعطيت وذهبت، وقالت العربية: يا أمير المؤمنين، تعطيني مثل الذي أعطيت هذه وأنا عربية وهي مولاة؟ فقال لها علي -رضي الله عنه- : إني نظرت في كتاب الله -عز وجل- فلم أر فيه فضلاً لولد إسماعيل على ولد إسحاق -عليهما الصلاة والسلام-.

وفي آخر خلافة علي -رضي الله عنه- كانت الفتنة قد كبرت، وسادت الفوضى أرجاء واسعة من الدولة الإسلامية، فخرج ثلاثة من شباب الخوارج، وتواعدوا على قتل من ظنوا أنهم السبب المباشر في تلك الفتن وهم علي، ومعاوية، وعمرو بن العاص، فأما معاوية وعمرو فقد نجيا، وأما عليٌّ -رضي الله عنه- فقد انتظره الفاسق عبد الرحمن بن ملجم، وهو خارج إلى صلاة الفجر، فتمكن منه، وأصابه في رأسه إصابة بالغة أشرف منها على الموت، وكان ذلك في سنة (٤٠ هـ)، وعمره آنذاك (٦٥) سنة.

ودفن بالكوفة بعد أن ظل خليفة للمسلمين خمس سنين إلا أربعة أشهر، وروى عن رسول الله ﷺ أكثر من أربعمائة حديث، فرضي الله عنه وأرضاه.

(٥)

أمين الأمة أبو عبيدة بن الجراح-رضي الله عنه-.

إنه الصحابي الجليل أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح -رضي الله عنه-، أحد العشرة المبشرين بالجنة، وكان من أحب الناس إلى الرسول ﷺ ، فقد سُئلت عائشة -رضي الله عنها-: أي أصحاب رسول الله ﷺ كان أحب إليه؟ قالت: أبو بكر. قيل: ثم من؟ قالت: عمر. قيل ثم من؟ قالت: أبو عبيدة بن الجراح.[الترمذي وابن ماجة].

وسماه رسول الله ﷺ أمين الناس والأمة؛ حيث قال: "لكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح" [البخاري].

ولما جاء وفد نجران من اليمن إلى الرسول ﷺ ، طلبوا منه أن يرسل معهم رجلاً أميناً يعلمهم، فقال لهم: "لأبعثن معكم رجلاً أميناً حَقَّ أَمِينٍ، فتمنى كل واحد من الصحابة أن يكون هو، ولكن النبي ﷺ اختار أبا عبيدة، فقال: "قم يا أبا عبيدة" [البخاري].

وقد هاجر أبو عبيدة-رضي الله عنه- إلى الحبشة ثم إلى المدينة، وفي المدينة آخى الرسول ﷺ بينه وبين سعد بن معاذ -رضي الله عنهما-.

ولم يتخلف أبو عبيدة -رضي الله عنه- عن غزوة غزاها النبي ﷺ ، وكانت له مواقف عظيمة في البطولة والتضحية، ففي غزوة بدر رأى أبو عبيدة-رضي الله عنه- أباه في صفوف المشركين فابتعد عنه، بينما أصر أبوه على قتله، فلم يجد الابن مهربًا من التصدي لأبيه، وتقابل السيفان، فوقع الأب المشرك قتيلاً، بيد ابنه الذي آثر حب الله ورسوله على حب أبيه، فنزل قوله تعالى:{ لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم وأبنائهم وإخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها رضي الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون}[المجادلة: ٢٢].

وفي غزوة أحد، نزع الحلقتين اللتين دخلتا من المغفر (غطاء الرأس من الحديد وله طرفان مدببان) في وجه النبي ﷺ من ضربة أصابته، فانقلعت ثنيتاه، فحسن ثغره بذهابهما. [الحاكم وابن سعد].

وكان أبو عبيدة-رضي الله عنه- على خبرة كبيرة بفنون الحرب، وحيل القتل لذا جعله الرسول ﷺ قائدًا على كثير من السرايا، وقد حدث أن بعثه النبي ﷺ أميرًا على سرية سيف البحر، وكانوا ثلاثمائة رجل فقل ما معهم من طعام، فكان نصيب الواحد منهم تمرة في اليوم ثم اتجهوا إلى البحر، فوجدوا الأمواج قد ألقت حوتًا عظيمًا، يقال له العنبر، فقال أبو عبيدة-رضي الله عنه-: ميتة، ثم قال: لا، نحن رسل رسول الله وفي سبيل الله، فكلوا، فأكلوا منه ثمانية عشر يومًا. [متفق عليه].

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- لجلسائه يومًا: تمنوا. فقال أحدهم: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت دراهم، فأنفقها في سبيل الله. فقال: تمنوا. فقال آخر: أتمنى أن يكون ملء هذا البيت ذهبًا، فأنفقه في سبيل الله. فقال عمر: لكني أتمنى أن يكون ملء هذا البيت رجالاً من أمثال أبي عبيدة بن الجراح، ومعاذ بن جبل، وحذيفة بن اليمان، فأستعلمهم في طاعة الله. [البخاري].

وكان عمر يعرف قدره، فجعله من الستة الذين استخلفهم، كي يختار منهم أمير المؤمنين بعد موته.

وكان أبو عبيدة -رضي الله عنه- كثير العبادة يعيش حياة القناعة والزهد، وقد دخل عليه عمر -رضي الله عنه- وهو أمير على الشام، فلم يجد في بيته إلا سيفه وترسه ورحله، فقال له عمر: لو اتخذت متاعًا (أو قال: شيئًا) فقال أبو عبيدة:يا أمير المؤمنين، إن هذا سيبلِّغنا المقيل (سيكفينا). [عبد الرازق وأبو نعيم].

وقد أرسل إليه عمر -رضي الله عنه- بأربعمائة دينار مع غلامه، وقال للغلام: اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح -رضي الله عنه- ثم انتظر في البيت ساعة حتى ترى ما يصنع، فذهب بها الغلام إليه، فقال لأبي عبيدة: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك. فقال أبو عبيدة-رضي الله عنه-: وصله الله ورحمه، ثم قال: تعالي يا جارية، اذهبي بهذه السبعة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان، وبهذه الخمسة إلى فلان حتى أنفذها. [ابن سعد].

وكان يقول: ألا رب مبيض لثيابه، مدنس لدينه، ألا رب مكرم لنفسه وهو لها مهين! بادروا السيئات القديمات بالحسنات الحديثات. [أبو نعيم وابن عبد البر].

وفي سنة (١٨) هـ أرسل عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- جيشًا إلى الأردن بقيادة أبي عبيدة بن الجراح-رضي الله عنه-، ونزل الجيش في عمواس بالأردن، فانتشر بها مرض الطاعون أثناء وجود الجيش وعلم بذلك عمر-رضي الله عنه-، فكتب إلى أبي عبيدة-رضي الله عنه- يقول له: إنه قد عرضت لي حاجة، ولا غني بي عنك فيها، فعجل إلي.

فلما قرأ أبو عبيدة -رضي الله عنه- الكتاب عرف أن أمير المؤمنين يريد إنقاذه من الطاعون، فتذكر قول النبي ﷺ "الطاعون شهادة لكل مسلم" [متفق عليه]. فكتب إلى عمر -رضي الله عنه- يقول له: إني قد عرفت حاجتك فحللني من عزيمتك، فإني في جند من أجناد المسلمين، لا أرغب بنفسي عنهم. فلما قرأ عمر-رضي الله عنه- الكتاب، بكى، فقيل له: مات أبو عبيدة؟! قال: لا، وكأن قد (أي: وكأنه مات). [الحاكم].

فكتب أمير المؤمنين إليه مرة ثانية يأمره بأن يخرج من عمواس إلى منطقة الجابية حتى لا يهلك الجيش كله، فذهب أبو عبيدة-رضي الله عنه- بالجيش حيث أمره أمير المؤمنين، ومرض بالطاعون، فأوصى بإمارة الجيش إلى معاذ بن جبل-رضي الله عنه-، ، ثم توفي -رضي الله عنه- وعمره (٥٨) سنة، وصلى عليه معاذ بن جبل-رضي الله عنه-، ، ودفن ببيسان بالشام. وقد روي أبو عبيدة -رضي الله عنه- أربعة عشر حديثًا عن النبي ﷺ .

(٦)

أول الرماة في سبيل الله سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-.

إنه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، أحد السابقين إلى الإسلام، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

وكان سعد قد رأى وهو ابن سبع عشرة سنة في منامه أنه يغرق في بحر الظلمات، وبينما هو يتخبط فيها، إذ رأى قمرًا، فاتبعه، وقد سبقه إلى هذا القمر ثلاثة، هم: زيد بن حارثة-رضي الله عنه-، وعلي بن أبي طالب-رضي الله عنه-، وأبو بكر الصديق-رضي الله عنه-، ولما طلع الصباح سمع أن رسول الله ﷺ يدعو إلى دين جديد؛ فعلم أن هذا هو القمر الذي رآه؛ فذهب على الفور؛ ليلحق بركب الساقين إلى الإسلام.

وتظهر روعة ذلك البطل عندما حاولت أمه مرارًا أن ترده عن طريق الإيمان عبثًا، فباءت محاولاتها بالفشل أمام القلب العامر بالإيمان، فامتنعت عن الطعام والشراب، ورفضت أن تتناول شيئًا منه، حتى يرجع ولدها سعد عن دينه، ولكنه قال لها: أماه إنني أحبك، ولكن حبي لله ولرسوله أكبر من أي حب آخر.

وأوشكت أمه على الهلاك، وأخذ الناس سعدًا -رضي الله عنه- ليراها عسى أن يرق قلبه، فيرجع عما في رأسه، فيقول لها سعد-رضي الله عنه-: يا أمه، تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس فخرجت نفسًا نفسًا، ما تركت ديني فإن شئت كلي، وإن شئت لا تأكلي، وعندها أدركت الأم أن ابنها لن يرده عن دينه شيء؛ فرجعت عن عزمها، وأكلت، وشربت لينزل وحي الله -عز وجل- يبارك ما فعل سعد، قال تعالى:{وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفا} [لقمان: ١٥].

ولازم سعد -رضي الله عنه- رسول الله ﷺ بمكة حتى أذن الله للمسلمين بالهجرة إلى المدينة المنورة، فهاجر مع المسلمين ليكون بجوار رسول الله ﷺ في محاربة المشركين، ولينال شرف الجهاد

في سبيل الله، وحسبه أنه أول من رمى بسهم في سبيل الله وأول من أراق دماء الكافرين، فقد بعث رسول الله ﷺ سرية فيها سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه- إلى مكان في أرض الحجاز اسمه سابغ، وهو من جانب الجحفة، فانكفأ المشركون على المسلمين، فحماهم سعد يومئذ بسهامه، فكان أول قتال في الإسلام.

ويوم أحد، وقف سعد -رضي الله عنه- يدافع عن رسول الله ﷺ، ويحارب المشركين، ويرميهم حتى نالته دعوة الرسول ﷺ ، حين رآه فسر منه وقال: "يا سعد، ارم فداك أبي وأمي" [متفق عليه]، فكان سعد-رضي الله عنه- يقول: ما جمع رسول الله ﷺ أبويه لأحد قبلي، وكانت ابنته عائشة بنت سعد تباهي بذلك وتفخر، وتقول: أنا ابنة المهاجر الذي فداه رسول الله ﷺ يوم أحد بالأبوين.

وذات يوم، مرض سعد-رضي الله عنه-، فأتاه رسول الله ﷺ ليزوره، ويطمئن عليه؛ فتساءل سعد-رضي الله عنه- قائلاً: إن قد بلغ بي من الوجع، وأنا ذو مال، ولا يرثني إلا ابنة، أفأتصدق بثلثي مالي؟ فقال له النبي ﷺ لا، فقال سعد: بالشطر (نصفه)، قال النبي ﷺ لا. ثم قال ﷺ : "الثلث، والثلث كثير، إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها، حتى ما تجعل في فيّ (فم) امرأتك" [متفق عليه]، وقد رزق الله سعدًا -رضي الله عنه- الأبناء، فكان له إبراهيم، وعامر، وعمر، ومُحَمَّد، وعائشة.

وقد كان رسول الله ﷺ يحب سعدًا، فعن جابر قال: كنا مع رسول الله ﷺ :، إذ أقبل سعد، فقال ﷺ : "هذا خالي، فليرني امرؤ خاله" [الترمذي والطبراني وابن سعد].

وكان سعد-رضي الله عنه- مستجاب الدعوة أيضًا، فقد دعا له النبي ﷺ قائلا: "اللهم استجب لسعد إذا دعاك" [الترمذي].

وعين سعد-رضي الله عنه- أميرًا على الكوفة، أثناء خلافة الفاروق عمر -رضي الله عنه- الذي كان يتابع ولاته ويتقصى أحوال رعيته، وفي يوم من الأيام اتجه عمر -رضي الله عنه- إلى الكوفة ليحقق في شكوى

أهلها أن سعدًا يطيل الصلاة، فما مر عمر بمسجد إلا وأحسنوا فيه القول، إلا رجلا واحدًا قال غير ذلك، فكان مما افتراه على سعد: أنه لا يعدل في القضية، ولا يقسم بالسوية، ولا يسير بالسرية -يخرج بالجيش- فدعا سعد عليه قائلاً: اللهم إن كان كاذبًا، فأعم بصره، وأطل عمره، وعرضه للفتن، فكان ذلك الرجل يمشي في الطريق، ويغمز الجواري، وقد سقط حاجباه من عينيه لما سئل عن ذلك قال: شيخ مفتون، أصابته دعوة سعد.

وذات يوم سمع سعد -رضي الله عنه- رجلاً يسب عليّا وطلحة والزبير، فنهاه فلم ينته، فقال سعد- رضي الله عنه- للرجل: إذن أدعو عليك؛ فقال الرجل: أراك تتهددني كأنك نبي؛ فانصرف سعد-رضي الله عنه-، وتوضأ، وصلى ركعتين، رفع يديه، وقال: اللهم إن كنت تعلم أن هذا الرجل قد سب أقوامًا سبقت لهم منك الحسنى؛ وأنه قد أسخطك سبه إياهم؛ فاجعله آية وعبرة؛ فلم يمر غير وقت قصير حتى خرجت ناقة هوجاء من أحد البيوت، وهجمت على الرجل الذي سب الصحابة؛ فأخذته بين قوائمها، وما زالت تتخبط حتى مات.

وحينما اشتد خطر الفرس على حدود الدولة الإسلامية أرسل إليهم الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- جيشًا بقيادة سعد بن أبي وقاص-رضي الله عنه- ليقابلهم سعد-رضي الله عنه- في معركة القادسية، واشتد حصار المسلمين على الفرس وأعوانهم، حتى قتل الكثير منهم، وعلى رأسهم القائد رستم، ودب الرعب في باقي جنود الفرس، فكان النصر العظيم للمسلمين يوم القادسية، ولم يكن لسعد-رضي الله عنه- هذا اليوم فقط في قتال الفرس، بل كان هناك يوم مجيد آخر للمسلمين تحت قيادته، في موقعة المدائن؛ حيث تجمع الفرس في محاولة أخيرة للتصدي لزحف المسلمين، وأدرك سعد أن الوقت في صالح الفرس، فقرر أن يهاجمهم فجأة، وكان نهر دجلة قد امتلأ عن آخره، في وقت الفيضان، فسبحت خيول المسلمين في النهر وعبرته إلى الضفة الأخرى لتقع المواجهة، ويحقق المسلمون نصرًا كبيرًا.

وعندما طعن أبو لؤلؤة المجوسي عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، اختار عمر -رضي الله عنه- ستة من المسلمين ليتم اختيار خليفة منهم، وأخبر عمر أن الرسول ﷺ مات وهو عنهم راض، وكان من هؤلاء الستة سعد بن أبي وقاص -رضي الله عنه-، حتى قال عمر-رضي الله عنه-: لو كنت مختارًا للخلافة واحدًا، لاخترت سعدًا، وقال لمن حوله: إن وليها سعد فذاك، وإن وليها غيره فليستعن بسعد، فكان عثمان بن عفان -رضي الله عنه-يستعين به في كل أموره.

وحدثت الفتنة آخر أيام الإمام علي -رضي الله عنه- فكان سعد بعيدًا عنهم؛ واعتزلها، وأمر أهله وأولاده ألا ينقلوا إليه شيئًا من أخبارها.

وعندما جاءه ابنه عامر يطلب منه أن يقاتل المتحاربين ويطلب الخلافة لنفسه، قال سعد -رضي الله عنه- في شفافية المسلم الصادق: أي بني، أفي الفتنة تأمرني أن أكون رأسًا؟ لا والله حتى أعطي سيفًا، إن ضربت به مسلمًا نبا عنه (أي لم يصبه بأذى)، وإن ضربت به كافرًا قتله، ولقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله يحب الغني الخفي التقي" [أحمد ومسلم].

وفي سنة (٥٥هـ) أوصى سعد-رضي الله عنه- أهله أن يكفوه في ثوب قديم، كان عنده، وياله من ثوب يشرف به أعظم أهل الأرض، قال لهم: لقد لقيت المشركين فيه يوم بدر، ولقد ادخرته لهذا اليوم.

وتوفي رحمة الله عليه بالعقيق، فحمل على الأعناق إلى المدينة، ودفن بها ليكون آخر من مات من العشرة المبشرين بالجنة وآخر من مات من المهاجرين -رضي الله عنهم-.

(٧)

الثري العفيف عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه-.

إنه الصحابي الكريم عبد الرحمن بن عوف -رضي الله عنه-، ولد قبل عام الفيل بعشر سنين، وأسلم قبل أن يدخل الرسول ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وكان أحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق، وأحد العشرة المبشرين بالجنة، وأحد الستة الذين اختارهم عمر ليخلفوه في إمارة المؤمنين، وكان أغنى أغنياء الصحابة.

أغمي عليه ذات يوم ثم أفاق، فقال لمن حوله: أَغُشي عليَّ؟ قالوا: نعم، قال: فإنه أتاني ملكان أو رجلان فيهما فظاظة وغلظة، فانطلقا بي، ثم أتاني رجلان أو ملكان هما أرق منهما، وأرحم فقالا: أين تريدان به؟ قالا: نحاكمه إلى العزيز الأمين. فقال: خليا عنه، فإنه ممن كتبت له السعادة وهو في بطن أمه.[الحاكم].

هاجر إلى الحبشة مرتين، وآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع، فقال له سعد: أخي، أنا أكثر أهل المدينة مالا، فانظر شطر (نصف) مالي فخذه، ولي امرأتان، فانظر أيتهما أعجب إليك حتى أطلقها لك، فقال عبد الرحمن بن عوف: بارك الله لك في أهلك ومالك، دلوني على السوق. فدلوه على السوق، فاشترى، وباع، فربح كثيرًا.

وكان -رضي الله عنه- فارسًا شجاعًا، ومجاهدًا قويًّا، شهد بدرًا وأحدًا والغزوات كلها مع رسول الله ﷺ، وقاتل يوم أحد حتى جرح واحدًا وعشرين جرحا، وأصيبت رجله فكان يعرج عليها.

بعثه رسول الله ﷺ إلى دومة الجندل، وعممه بيده الشريفة وسدلها بين كتفيه، وقال له: "إذا فتح الله عليك فتزوج ابنة شريفهم". فقدم عبد الرحمن دومة الجندل فدعاهم إلى الإسلام فرفضوا ثلاثًا، ثم أسلم الأصبغ بن ثعلبة الكلبي، وكان شريفهم فتزوج عبد الرحمن ابنته تماضر بنت الأصبغ، فولدت له أبا سلمة ابن عبد الرحمن. [ابن هشام]

وكان رسول الله ﷺ يدعو له، ويقول: "اللهم اسق عبد الرحمن بن عوف من سلسبيل الجنة" [أحمد].

وكان -رضي الله عنه- تاجرًا ناجحًا، كثير المال، وكان عامة ماله من التجارة، وعرف بكثرة الإنفاق في سبيل الله، أعتق في يوم واحد ثلاثين عبدًا، وتصدق بنصف ماله على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم .

وأوصى بخمسين ألف دينار في سبيل الله، وأوصى لمن بقي من أهل بدر لكل رجل أربعمائة دينار، وكانوا مائة فأخذوها، وأوصى بألف فرس في سبيل الله.

وكان ﷺ يخاف على عبد الرحمن بن عوف من كثرة ماله، وكان يقول له:"يا بن عوف، إنك من الأغنياء، ولن تدخل الجنة إلا زحفًا، فأقرض الله يطلق لك قدميك"، فقال عبد الرحمن: فما أقرض يا رسول الله؟ فأرسل إليه رسول الله ﷺ فقال: "أتاني جبريل، فقال لي: مره فليضف الضيف، وليعط في النائبة والمصيبة، وليطعم المسكين" [الحاكم]، فكان عبد الرحمن يفعل ذلك.

وبرغم ما كان فيه ابن عوف -رضي الله عنه- من الثراء والنعم، فقد كان شديد الإيمان، محبا للخير، غير مقبل على الدنيا.

وذات يوم أتى بطعام ليفطر، وكان صائمًا فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير مني، فكفن في بردته، إن غطى رأسه بدت (ظهرت) رجلاه، وإن غطى رجلاه بدا رأسه، ثم قال: وقتل حمزة، وهو خير مني، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، وأعطينا منها ما أعطينا، وقد خشينا أن تكون حسناتنا عجلت لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام.

وذات يوم، أحضر عبد الرحمن -رضي الله عنه- لبعض إخوانه طعامًا من خبز ولحم، ولما وضعت القصعة بكى عبد الرحمن-رضي الله عنه-، فقالوا له: ما يبكيك يا أبا مُحَمَّد؟ فقال: مات رسول الله ﷺ ولم يشبع هو وأهل بيته من خبز الشعير، ولا أرانا أخرنا لما هو خير لنا.

ولما تولى عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- الخلافة سنة (١٣ هـ)، بعث عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- على الحج، فحج بالناس، ولما طعن عمر -رضي الله عنه-، اختار ستة من الصحابة ليختاروا من بينهم الخليفة، وكان عبد الرحمن بن عوف-رضي الله عنه- أحد هؤلاء الستة وكان ذا رأي صائب، ومشورة عاقلة راشدة، فلما اجتمع الستة قال لهم: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة نفر فتنازل كل من الزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله وسعد بن أبي وقاص فبقي أمر الخلافة بين عبد الرحمن بن عوف، وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب فقال عبد الرحمن: أيكم يتبرأ من الأمر ويجعل الأمر إلي، ولكن الله على أن لا آلو (أقصر) عن أفضلكم وأخيركم للمسلمين.

فقالوا: نعم. ثم اختار عبد الرحمن-رضي الله عنه- عثمان بن عفان للخلافة وبايعه فبايعه علي وسائر المسلمين.

وتوفي عبد الرحمن -رضي الله عنه- سنة (٣١هـ)، وقيل (٣٢هـ) في خلافة عثمان بن عفان، ودفن بالبقيع.

(٨)

مستجاب الدعوة سعيد بن زيد-رضي الله عنه-.

إنه سعيد بن زيد -رضي الله عنه- أحد العشرة المبشرين بالجنة، وقد نشأ سعيد في بيت لم يكن الإيمان غريبًا على أهله، فأبوه زيد بن عمرو بن نفيل الذي ترك عبادة الأصنام، وأسرع إلى عبادة الله على دين إبراهيم، وكن يسند رأسه على الكعبة، ويقول: يا معشر قريش، والله ما فيكم أحد على دين إبراهيم غيري.[ابن هشام].

فنشأ سعيد منذ صغره مثل أبيه سليم الفطرة، وما إن سمع بالإسلام حتى أسرع بالدخول فيه، وكان ذلك قبل دخول النبي ﷺ دار الأرقم بن أبي الأرقم، وأسلمت معه زوجته فاطمة بنت الخطاب، وقد تحمل زيد وزوجته الكثير من الإيذاء في سبيل الله، وكانا سببًا في إسلام عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-، حين هجم عليهما في البيت وهما يقرآن القرآن مع خباب بن الأرت-رضي الله عنه-، فأخذ منهما الصحيفة، وقرأ ما فيها، فشرح الله صدره، وأعلن إسلامه.

وهاجر سعيد إلى الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة وآخى الرسول ﷺ بينه وبين أبي بن كعب -رضي الله عنهما-.

وبعثه الرسول ﷺ مع طلحة بن عبيد الله؛ ليتحسَّسا أخبار عير قريش التي رجعت من التجارة، وفي أثناء قيامهما بهذه المهمة حدثت غزوة بدر التي انتصر فيها المسلمون، ورجع سعيد وطلحة فأعطاهما الرسول ﷺ نصيبهما من الغنائم. وعرف سعيد بالشجاعة والقوة، واشترك في الغزوات كلها.

وكان -رضي الله عنه- مستجاب الدعوة، فقد روي أن أروى بنت أويس ادعت كذبًا أنه أخذ منها أرضًا، وذهبت إلى مروان بن الحكم والى المدينة آنذاك، واشتكت له، فأرسل مروان إلى سعيد، وقال له: إن هذه المرأة تدعى أنك أخذت أرضًا، فقال سعيد: كيف أظلمها وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول: "من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أراضين" [متفق عليه]،

فقال مروان: إذن فعليك باليمين، فقال سعيد: اللهم إن كانت كاذبة فلا تمتها حتى تعمي بصرها، وتجعل قبرها في بئر، ثم ترك لها الأرض التي زعمت أنها ملكها.
وبعد زمن قليل، عميت أروى فكانت تقودها جارية لها، وفي ليلة قامت ولم توقظ الجارية، وأخذت تمشي في الدار فوقعت في بئر كانت في دارها، فماتت فأصبحت هذه البئر قبرها.

وكان سعيد مطاعًا بين الناس، يحبهم ويحبونه، وحينما حدثت الفتنة بين المسلمين، لم يشارك فيها، وبقي مداومًا على طاعة الله وعبادته حتى توفي سنة (٥١هـ) أو (٥٢هـ) ودفن بالمدينة المنورة.

(٩)

حواري الرسول الزبير بن العوام -رضي الله عنه-.

إنه الزبير بن العوام -رضي الله عنه- الذي يتلقى في نسبه مع النبي ﷺ ، فأمه صفية بنت عبد المطلب عمة الرسول ﷺ ، وهو أحد العشرة المبشرين بالجنة، وهو أحد الستة أهل الشورى الذين اختارهم عمر؛ ليكون منهم الخليفة بعد موته، وزوج أسماء بنت أبي بكر الصديق -رضي الله عنه-.

وقد أسلم الزبير مبكرًا، فكان واحدًا من السبعة الأوائل الذين سارعوا إلى الإسلام، ولما علم عمه نوفل بن خويلد بإسلامه غضب غضبًا شديدًا، وتولى تعذيبه بنفسه، فكان يلفُّه في حصير، ويدخن عليه بالنار، ويقول له: اكفر برب مُحَمَّد، أدرأ (أكف) عنك هذا العذاب. فيرد عليه الزبير قائلاً: لا، والله لا أعود للكفر أبدًا. [الطبراني وأبو نعيم].

وسمع الزبير يومًا إشاعة كاذبة تقول: إن محمدًا ﷺ قد قتل، فخرج إلى شوارع مكة شاهرًا سيفه، يشق صفوف الناس، وراح يتأكد من هذه الشائعة معتزمًا إن كان الخبر صحيحًا أن يقتل من قتل رسول الله ﷺ :، فلقي النبي ﷺ بشمال مكة، فقال له النبي ﷺ "مالك؟" فقال: أخبرت أنك أخذت (قُتلت). فقال له النبي ﷺ "فكنت صانعًا ماذا؟" فقال: كنت أضرب به من أخذك. ففرح النبي ﷺ لما سمع هذا، ودعا له بالخير ولسيفه بالنصر.[أبو نعيم]. فكان -رضي الله عنه- أول من سل سيفه في سبيل الله.

وقد هاجر الزبير إلى الحبشة مع من هاجر من المسلمين، وبقي بها حتى أذن لهم الرسول ﷺ بالعودة إلى المدينة.

وقد شهد مع رسول الله ﷺ الغزوات كلها، وفي غزوة أحد بعد أن عاد جيش قريش إلى مكة أرسل الرسول ﷺ سبعين رجلا من المسلمين في أثرهم، كان منهم أبو بكر والزبير. [البخاري].

ويوم اليرموك، ظل الزبير -رضي الله عنه- يقاتل جيش الروم وكاد جيش المسلمين أن يتقهقر، فصاح فيهم مكبرًا: الله أكبر. ثم اخترق صفوف العدو ضاربًا بسيفه يمينًا ويسارًا، يقول عنه عروة:

كان في الزبير ثلاث ضربات بالسيف، كنت أدخل أصابعي فيها، ثنتين (اثنتين) يوم بدر، وواحدة يوم اليرموك.

وقال عنه أحد الصحابة: صحبت الزبير بن العوام في بعض أسفاره، ورأيت جسده، فقلت له: والله لقد شهدت بجسمك لم أره بأحد قط، فقال لي: أما والله ما فيها جراحة إلا مع رسول الله ﷺ :، وفي سبيل الله. وقيل عنه: إنه ما ولى إمارة قط، ولا جباية، ولا خراجا، ولا شيئًا إلا أن يكون في غزوة مع النبي ﷺ أو مع أبي بكر أو عمر أو عثمان.

وحين طال حصار بني قريظة دون أن يستسلموا أرسله رسول الله ﷺ مع علي بن أبي طالب، فوقفا أمام الحصن يرددان قولهما: والله لنذوقن ما ذاق حمزة، أو لنفتحن عليهم الحصن.

وقال عنه النبي ﷺ "إن لكل نبي حواريًا وحواري الزبير" [متفق عليه].

وكان يتفاخر بأن النبي ﷺ قال له يوم أحد، ويوم قريظة: "ارم فداك أبي وأمي".

وتقول السيدة عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير: كان أبواك من الذين استجابوا لله وللرسول من بعدما أصابهم القرح (تريد أبا بكر والزبير)[ابن ماجة].

وكان الزبير بن العوام من أجود الناس وأكرمهم، ينفق كل أموال تجارته في سبيل الله، يقول عنه كعب: كان للزبير ألف مملوك يؤدون إليه الخراج، فما كان يدخل بيته منها درهمًا واحدًا (يعني أنه يتصدق بها كلها)، لقد تصدق بماله كله حتى مات مديونًا، ووصى ابنه عبد الله بقضاء دينه، وقال له: إذا أعجزك دين، فاستعن بمولاي. فسأله عبد الله: أي مولى تقصد؟ فأجابه: الله، نعم المولى ونعم النصير. يقول عبد الله فيما بعد: فوالله ما وقعت في كربة من دينه إلا قلت: يا مولى الزبير اقض دينه فيقضيه. [البخاري].

وعلى الرغم من طول صحبته للنبي (فإنه لم يرو عنه إلا أحاديث قليلة، وقد سأله ابنه عبد الله عن سبب ذلك، فقال: لقد علمت ما كان بيني وبين رسول الله ﷺ من الرحم والقرابة؛

إلا أني سمعته يقول: "من كذب عليَّ متعمدًا، فليتبوأ مقعده من النار" [البخاري].

فكان -رضي الله عنه- يخاف أن يتحدث عن رسول الله ﷺ بشيء لم يقله، فيزل بذلك في النار.

وخرج الزبير من معركة الجمل، فتعقبه رجل من بني تميم يسمى عمرو بن جرموز وقتله غدرًا بمكان يسمى وادي السباع، وذهب القاتل إلى الإمام عليّ يظن أنه يحمل إليه بشرى، فصاح عليٌّ حين علم بذلك قائلاً لخادمه: بشر قاتل ابن صفية بالنار. حدثني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قاتل الزبير في النار. [أحمد وابن حبان والحاكم والطبراني].

ومات الزبير -رضي الله عنه- يوم الخميس من شهر جمادى الأولى سنة (٣٦هـ)، وكان عمره يوم قتل (٦٧ هـ) سنة وقيل (٦٦) سنة.

(١٠)

شهيد يمشي على الأرض طلحة بن عبيد الله

إنه الصحابي الجليل طلحة بن عبيد الله-رضي الله عنه-، قال عنه الرسول ﷺ : "من أراد أن ينظر إلى شهيد يمشي على وجه الأرض؛ فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله" [الترمذي].

وهو أحد العشرة الذين بشرهم الرسول ﷺ بالجنة، وأحد الثمانية الذين سبقوا إلى الإسلام، وأحد الستة الذين اختارهم عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- ليكون منهم خليفة المسلمين.

وكان طلحة-رضي الله عنه- قد سافر إلى أرض بصرى بالشام في تجارة له، وبينما هو في السوق سمع راهبًا في صومعته يقول: سلوا أهل هذا الموسم أفيهم أحد من أهل الحرم؟ فذهب إليه طلحة-رضي الله عنه- ، وقال له: نعم أنا، فقال الراهب: هل ظهر أحمد؟ قال طلحة-رضي الله عنه-: من أحمد؟ قال الراهب: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، ومخرجه من الحرم، ومهاجره إلى نخل وحرة ويباخ (يقصد المدينة المنورة)، فإياك أن تُسبق إليه.

فوقع كلام الراهب في قلب طلحة-رضي الله عنه- ، ورجع سريعًا إلى مكة وسأل أهلها: هل كان من حدث؟ قالوا نعم، مُحَمَّد الأمين تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة، فذهب طلحة -رضي الله عنه- إلى أبي بكر الصديق-رضي الله عنه-، وأسلم على يده، وأخبره بقصة الراهب.[ابن سعد]، فكان من السابقين إلى الإسلام، وأحد الخمسة الذين أسلموا على يد أبي بكر-رضي الله عنه-.

ورغم ما كان لطلحة-رضي الله عنه- من ثراء ومال كثير ومكانة في قريش فقد تعرض لأذى المشركين واضطهادهم مما جعله يهاجر المدينة حين أذن النبي ﷺ للمسلمين بالهجرة، وجاءت غزوة لكنه لم يشهدها، وقيل إن الرسول ﷺ أرسله في مهمة خارج المدينة وحينما عاد ووجد المسلمين قد عادوا من غزوة بدر، حزن طلحة-رضي الله عنه- حزنًا شديدًا لما فاته من الأجر والثواب، لكن الرسول ﷺ أخبره أن له من الأجر مثل من جاهد في المعركة، وأعطاه النبي ﷺ سهمًا ونصيبًا من الغنائم مثل المقاتلين تمامًا.

ثم شهد طلحة-رضي الله عنه- غزوة أحد وما بعدها من الغزوات، وكان يوم أحد يومًا مشهودًا، أبلى فيه طلحة-رضي الله عنه- بلاء حسنًا حتى قال عنه النبي ﷺ "طلحة شهيد يمشي على وجه الأرض" [ابن عساكر].

وحينما نزل قول الله تعالى: {من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا} [الأحزاب: ٢٣]، قال النبي ﷺ "طلحة ممن قضى نحبه" [الترمذي].

وحينما حدث اضطراب في صفوف المسلمين، وتجمع المشركون حول رسول الله ﷺ كل منهم يريد قتله، وكل منهم يوجه السيوف والسهام والرماح تجاه الرسول ﷺ إذا بطلحة البطل الشجاع يشق صفوف المشركين حتى وصل إلى رسول الله ﷺ :، وجعل من نفسه حصنًا منيعًا للنبي (، وقد أحزنه ما حدث ل رسول الله ﷺ من كسر رباعيته (أي مقدمة أسنانه)، وشج رأسه، فكان يتحمل بجسمه السهام عن رسول الله، ويتقي النبل عنه بيده حتى شلت يده، وشج رأسه، وحمل رسول الله ﷺ على ظهره حتى صعد على صخرة، وأتاه أبو بكر وأبو عبيدة، فقال لهما الرسول: اليوم أوجب طلحة يا أبا بكر"، ثم قال لهما: "عليكما صاحبكما"، فأتيا إلى طلحة فوجداه في حفرة، وبه بضع وسبعون طعنة ورمية وضربة، وقد قطعت إصبعه" [ابن سعد].

وكان أبو بكر الصديق -رضي الله عنه- إذا ذكر يوم أحد قال: ذاك يوم كله لطلحة، وقد بشره الرسول ﷺ بالجنة.

وقد بلغ طلحة-رضي الله عنه- مبلغًا عظيمًا في الجود والكرم حتى سمى بطلحة الخير، وطلحة الجواد، وطلحة الفياض، ويحكى أن طلحة-رضي الله عنه- اشترى بئر ماء في غزوة ذي قرد، ثم تصدق بها، فقال رسول الله ﷺ : "أنت طلحة الفياض" [الطبراني]، ومن يومها قيل له طلحة الفياض.

وقد أتاه مال من حضرموت بلغ سبعمائة ألف، فبات ليلته يتململ، فقالت له زوجته: مالك؟ فقال: تفكرت منذ الليلة، فقلت: ما ظن رجل بربه يبيت وهذا المال في بيته، فأشارت عليه أن يقسم هذا المال على أصحابه وإخوانه، فسرَّ من رأيها وأعجب به، وفي الصباح، قسم كل ما عنده بين المهاجرين والأنصار، وهكذا عاش حياته كلها كريمًا سخيًّا شجاعًا.

واشترك في باقي الغزوات مع النبي ﷺ ومع أبي بكر وعمر وعثمان، وحزن حزنًا شديدًا حينما رأى مقتل عثمان بن عفان رضي الله واستشهاده، واشترك في موقعة الجمل مطالبًا بدم عثمان وبالقصاص ممن قتله، وعلم أن الحق في جانب علي، فترك قتاله وانسحب من ساحة المعركة وفي أثناء ذلك أصيب بسهم فمات.

وقد روي عن علي -رضي الله عنه- أنه قال: والله إني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير ممن قال الله تعالى:{ونزعنا ما في صدورهم من غل إخوانًا على سرر متقابلين} [الحجر: ٤٧].

وتزوج طلحة -رضي الله عنه- أربع نسوة، كل واحدة منهن أخت لزوجة من زوجات النبي صلى الله عليه وسلم ، وهن: أم كلثوم بنت أبي بكر، أخت عائشة، وحمنة بنت جحش أخت زينب، والفارعة بنت أبي سفيان أخت أم حبيبة، ورقية بنت أبي أمية أخت أم سلمة.

وقد ترك طلحة تسعة أولاد ذكور وبنتًا واحدة، وروي عن النبي ﷺ أكثر من ثلاثين حديثًا.